(٦) رسالة من غزة

يمثل قطاع غزة قمة الخط البياني للمقاومة داخل المناطق المحتلة وفقا لما تعترف به المصادر الاسرائيلية ذاتها . موشيه ديان ، ذاته ، يعترف بأن في القطاع « حالة مجاعة »(١). ومن جهة ثانية فان روبرت جراهام ، مراسل صحيفة « الفاينشال تايمز » يصف ما هو حادث في القطاع على انه مطابق لحال « بلدة تحت الحصار »(٢). ويقول شاهد عيان يهودي « ان هناك جوعا رهيبا بين الاطفال . ولقد شاهدت اطفالا على استعداد للعمل ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة لقاء ثمن فتات من الخبز»(٣). اما جون ريداوي ، احد كبار مسؤولي وكالة الغوث ، فقد اعلن في « التايمز » اللندنية عن نسف السلطات الاسرائيلية للبيوت على رؤوس ساكنيها من عرب غزة(٤). كل ذلك يضاف الى كون صحيفة « عل همشمار » الاسرائيلية قد اعترفت بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١١، بأن « السلطات الاسرائيلية لم تستعمل الاساليب الوقائية الرادعة قبل تفشي مرض الكوليرا ولم تحضر عددا كافيا من الاطباء مع العلم بأن تلك الاطباء الذين كانوا في القطاع قبل الاحتلال قد اخرجوا منه كما ان هناك نقصا كبيرا في عدد المستشفيات » . ايضا : كان التعليم في القطاع « افضل بكثير قبل الاحتلال فقد نقص عدد المعلمين ٤٠٠ ناهيك عن النقص الفريع في كتب التعليم بعد الغاء الكثير منها»(٥). وعلاوة على ذلك فان اميتيه بن بينا ، احد العاملين في الجامعة العبرية ، يؤكد بأن حالة المجاعة في غزة وصلت حدا جعل الامهات الفلسطينيات اللواتي يزرن اطفالهن في مستشفيات غزة يتناولن جزءا من الطعام المقدم لاطفالهن من قبل ادارة المستشفى(٦). هذا بالاضافة الى ان النساء والاطفال اضطروا للعمل، باجور زهيدة ، لكسب ما يقوم بأودهم(٧). كما أن موشيه ديان ، مرة ثانية ، اكد امام الكنيست يوم ١٩٦٩/١٢/١٦ بأن قطاع غزة كان له « حصة الاسد » في اجراءات الانتقام الاسرائيلية فيما يتعلق بنسف البيوت(٨). وبالرغم من ذلك كله فان مجلة صهيونية ردت على مقالة كتبها هودجكين ، محرر الشؤون الخارجية في صحيفة التايمز اللندنية ، فاكدت ما قاله هودجكين ولكنها اسمت ذلك « بضرورات الاحتلال »!(٩).

بامكان المرء أن يسوق المئات من الوثائق والشهادات والتحقيقات التي تؤكد عسف الاساليب الفاشية الاسرائيلية الهادفة تركيع المقاومة في القطاع واقتلاعها من جذورها . على ان الصورة الحالكة التي يعيشها القطاع،والتي أصبحت معروفة على اكثر من صعيد محلي وعالمي ، تبقى اقوى واوضح من كل المقومات اللازمة لرسم الصورة ، وهي بالتالي ، تعفينا من سوق الدليل وراء الدليل عليها . أما السؤال الطبيعي والمنطقي الذي يلي فهو : الى اي حد نجحت تلك الاساليب في قمع المقاومة الفلسطينية في القطاع ؟

حكمة حركة التاريخ ، التي هي دوما حركة نشطة الى امام ، ان تأتي نتائج العسف ، حيث هناك شعب يقاتل ، بنتائج عكسية . بعبارة اخرى ان القهر يمثل ، في حالات كحال قطاع غزة ، رحما ينمو فيه جنين المقاومة ، ومنبعا لعطاء لا ينضب يصب في نهر حرب الشعب التحررية . ان حركة المقاومة في غزة لم تثبت وجودها فحسب ، بل وتؤكد الاحداث يوميا حقيقة تصاعدها المستمر . ولنتنح الان جانبا تاركين المجال لتدافع الحقائق ذاتها ، ومن مصادر اسرائيلية او محايدة ، لكي تطفو على السطح معلنة عن نفسها :

يؤكد « والتر شوارتز » في مقالة له في مطلع هذا العام ، نشرت في مجلة « المانشستر جارديان » بتاريخ ١٩٧١/١/١٦ ، ان المقاومة الشاملة ، على شكل عصيان مدني ، قد دخلت يومها الرابع في القطاع حيث امتنع اصحاب المحال التجارية ، وموظفو المكاتب ، والطلاب عن التردد على مؤسساتهم ، بالرغم من سياسة « التشديد » الاسرائيلية الجديدة(١٠). كما ان اضراب غزة الشامل في الاسبوع الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ لمدة ثلاثة ايام حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع ، والتظاهرات واطلاق النار على قوات الاحتلال في الجنازة التي اقيمت له ، دليل على طبيعة العلاقة المستمرة بين الفدائيين واهالي القطاع . وهكذا نرى ان « السمك الفدائي » يسبح دوما في القطاع في «بحر جماهيري» واسع !